1º-يلزيد أوراقي (157/1)، قسم 25،ظرف 157/ لف 3.

2º- أرشيف رآسة الوزراء رقم "و" 207، لف 7 .

(25) و(26) يلزيد أوراقي (157/1)،قسم 25، ظرف 157/لف3

(27) طلب رسمي موثق ومختوم بأزيد من 9 أختام، أمضاه حوالي 203 رب عائلة مهاجرة .

(28) و(29) المصدر أعلاه، يلزيد أوراقي 157/1.

زيري بن عطية المغراوي ومشروع الدولة الزناتية في المغربين الأوسط والأقصى(368/391هـ).

د.محمد بن معـــمر

لقد كان رحيل الفاطميين إلى مصر سنة 361 هـ، فاتحة عهد جديد في التاريخ السياسي لبلاد المغرب الإسلامي، إذ ظهر منذ ذلك التاريخ على مسرح أحداث هذه البلاد جيل جديد من بناة الدول المغاربة سواء أولئك الذين بقوا على ولائهم للفاطميين كبني زيري الصنهاجيين، أو هؤلاء الزناتيين الذين عارضوهم ورفضوا وجودهم وفي مقدمتهم زيري بن عطية الذي عمل ما في وسعه لتأسيس دولة زناتية.

هو زيري بن عطية بن عبد الله بن تبادلت بن محمد بن خزر الزناتي المغراوي الخزري، وجده محمد بن خزر هو الذي حمل لواء المقاومة ضد الفاطميين مدة نصف قرن من الزمن. وقد ترأس زيري بن عطية سنة 368 هـ الجموع الزناتية التي كانت قد فرت إلى المغرب الأقصى خوفا من الانتقام الفاطمي، وقام بدعوة صاحب قرطبة هشام المؤيد وحاجبه المنصور ابن أبي عامر، وذلك بعد انقطاع أيام الأدارسة وبني أبي العافية المكناسيين، فغلب على جميع بوادي المغرب الأقصى وملك مدينة فاس سنة 377 هـ وصيرها دار ملكه.

ثم إن الانتصارات المتتالية التي حققها زيري بن عطية على خصومه وفي مقدمتهم غريمـــه يدو بن يعلى اليفرني سنـــة 383هـ، دفعته إلى بناء مدينـــة وجدة في رجب 384 هـ، ليتخذها عاصمة جديدة بدل فاس التي لم يعد يرغب في الاستقرار بها لكثرة ما سببت له من متاعب ومصاعب، وبعدها عن موطنه الأصلي. وفي ذلك يقول ابن أبي زرع: "وقوي أمر

زيري بن عطية بالمغرب، ولم يبق له منازع وهابته الملوك، فبنى مدينة وجدة وسكنها بأهله وحشمه ونقل إليها أمواله وذخائره وجعلها قاعدته ودار ملكه لكونها واسطة بلاده وذلك في رجب سنة 384 هـ[1]، ويتفق معه ابن خلدون حين يقول: "واستفحل أمر زيري بالمغرب

* أستاذ محاضر في تاريخ المغرب الإسلامي- قسم الحضارة الإسلامية-جامعة وهران.

واختط مدينة وجدة سنة 384 هـ وأنزلها عساكره وحشمه واستعمل عليها ذويه ونقل إليها ذخيرته وأعدها معتصما، فكانت ثغرا لعمله بين المغرب الأقصى والأوسط[2].

يتضح من خلال النصين السابقين أن زيري بن عطية قد أصبح عاقد العزم أكثر من أي وقت مضى في سبيل تحقيق طموحاته لتكوين دولته الزناتية المغراوية التي اعتبر مدينة فاس غير صالحة لها، لقربها من القبائل الخصيمة، ولأن روح العصر السائدة آنذاك في بناء الدول كانت تقوم على العصبية القبلية. فوقع اختياره على سهل أنجاد ليبني المدينة في موقع يعتبر واسطة مضارب الزناتيين ومغراوة منهم على وجه الخصوص. ولعل وصف ابن خلدون كان دقيقا حين اعتبر المدينة ثغرا بين المغربين الأوسط الأقصى، أي أن الأمير المغراوي الذي لم يكن مستعدا للتفريط في المغرب الأقصى، كان يحدوه الأمل في نفس الوقت لاستعادة موطنه الأصلي بين الشلف وتلمسان في المغرب الأوسط الذي كان في قبضة الزيريين. وبعد بناء عاصمة دولة المستقبل كان على الأمير المغراوي اتخاذ الخطوة الثانية والحاسمة في سبيل الوصول إلى هدفه وهي القطيعة مع ابن أبي عامر وخلع طاعته، وهي الخطوة التي ستكلفه كثيرا.

ارتبط زيري بن عطية المغراوي بخدمة المنصور ابن أبي عامر في الأندلس، وتوجت العلاقة بينهما بزيارته إلى قرطبة. وعلى الرغم من احتقار الأمير المغراوي للقب الوزير الذي خصه به ابن أبي عامر وعدم رضاه بالراتب الذي أجراه عليه، فإن العلاقة ظلت قائمة بينهما حتى سنة 386 هـ، حيث نشأت الوحشة بين الطرفين، وهي السنة التي بلغ فيها المنصور بن أبي عامر أوج قوته في الأندلس، فلم ترضه الانتقادات التي كان يوجهها إليه زيري بن عطية واتهامه بالحجر على الخليفة هشام المؤيد واستبداده عليه[3]. فقرر معاقبته وتأديبه عن طريق القوة. ومهما قيل من تفسيرات عن أسباب هذه الوحشة، تبقى النزعة الاستقلالية لدى الأمير

المغراوي ومحاولة انفراده بإمارة المغرب الأقصى دون وصاية المنصور بن أبي عامر ورفض هذا الأخير لذلك، السبب الرئيسي الذي أزم العلاقة وأشعل فتيل الحرب بينهما.

بعث المنصور بن أبي عامر كاتبه الأخص عيسى بن سعيد على رأس جيش أندلسي إلى المغرب الأقصى للنظر في شأن زيري بن عطية الذي استعصى عليه ولم ينجح في استصلاحه، وقضى بقية سنة 386 هـ في المغرب الأقصى دون أن يحقق ما جاء من أجله، ولم يظفر سوى بدخول أحد قواد زيري بن عطية في طاعة المنصور وهو محمد بن حمود المعروف بابن البقال صاحب قلعة حجر النسر الذي بعثه القائد الأندلسي إلى قرطبة، حيث احسن إليه المنصور. وإثر هذه المحاولة الفاشلة التي قام بها عيسى بن سعيد، أعلن المنصور براءته من الأمير المغراوي في شوال سنة 387 هـ وجرده من خطة الوزارة وقطع عليه راتبها[4]. فكان ذلك بمثابة عزل لزيري بن عطية عن ولاية المغرب الأقصى التي كان يحكمها باسم خليفة قرطبة.

ثم جهز المنصور جيشا آخر لحرب زيري بن عطية، وعهد بأمره إلى أحد غلمانه الأوفياء وهو واضح الفتى الذي غادر الأندلس باتجاه المغرب في نهاية شوال 387 هـ، يصحبه القواد الأندلسيون وطائفة من الأمراء المغاربة الموالين للمنصور. وقد ذكر صاحب مفاخر البربر وابن خلدون أسماء هؤلاء الأمراء المغاربة، ومنهم إسماعيل بن البوري ومحمد بن عبد الله بن مدين من مكناسة، وأبو نوبخت بن عبد الله بن بكار من بني يفرن، وخزرون بن محمد من إزداجه، ومحمد بن الخير وابن عمه بكساس بن سيد الناس من مغراوة[5]. ويضيف ابن أبي زرع أن غمارة وصنهاجة بايعت الأمير الأندلسي على قتال زيري بن عطية ومن معه[6].

إن مشاركة الأمراء الزناتيين إلى جانب جيش المنصور ضد ابن جلدتهم زيري بن عطية، موقف لا يمكن تفسيره إلا بالإغراءات المادية والعطايا التي كان يغدقها المنصور عليهم من جهة، ومن جهة أخرى ما كانت تكنه أنفسهم من حسد وغيرة لزيري بن عطية على إمارة زناتة في المغرب الأقصى، سيما وأن محمد بن الخير حفيد محمد بن خرز كان ضمن هؤلاء القواد، وقد ظلت إمارة زناتة حكرا على أسرته لأحقاب من الزمن.

وخلال الشهور الأولى من سنة 388هـ جرت مناوشات وصدامات بين واضح الفتى وزيري بن عطية، كان الشعار الأندلسي فيها "يا منصور" والشعار الزناتي "هشام يا منصور" مما يوحي بأن الأمير المغراوي كان متشبثا بطاعة الخليفة المحجور عليه من طرف

المنصور، وهو الحجر الذي كان يرفضه زيري بن عطية. وعن نتائج هذه الحرب التي دارت بين الطرفين جاءت الرواية التاريخية بشأنها في اتجاهين متناقضين، ففي الوقت الذي يؤكد فيه كل من صاحب مفاخر البربر وابن خلدون أن زيري بن عطية انهزم أمام واضح الفتى في رجب 388 هـ[7]، نجد ابن أبي زرع وابن الخطيب يوردان العكس وأن زيري بن عطية هو الذي هزم الأمير الأندلسي الذي فر إلى طنجة وطلب من المنصور العامري المدد من الخيل والمال والرجال[8].

وبغض النظر عن ترجيح رأي دون آخر، فإن عبور عبد الملك المظفر بن المنصور العامري إلى المغـــرب لنجدة واضح الفتى يعني أن هذا الأخير لم يستطع حسم الأمر لصالحه ضد الأمير المغراوي، وكان وصول عبد الملك إلى طنجة في رمضان سنة 388 هـــ. وأمام هذا الدعم الأندلسي الجديد لواضح الفتى، وجد الأمير المغراوي نفسه مضطرا إلى الاستنجاد بالقبائل الزناتية التي كتب إليها يستنصرها، فأتته الوفود من تلمسان وملوية وسجلماسة والزاب وغيرها من بوادي زناتة، فنهض بهم إلى قتال عبد الملك المظفر[9].

ودارت الحرب بين القوات الأندلسية والقوات الزناتية في شوال 388 هـــ، في وادي منى من أحواز طنجة[10]، وكانت حربا شديدة أنكر الأنيس فيها نفسه وخفت الجرس فلا تسمع إلا غمغمة بطل أو صليل صفحة كما يقول صاحب مفاخر البربر[11]. وهي حرب لم يُسمَع بمثلها قط، استمرت يوما كاملا من طلوع الشمس إلى غروبها. وقد جاء عند ابن خلدون أن هذه الحرب همّ فيها أصحاب عبد الملك وثبت هو[12]، وهو كلام يفهم منه أن القوات الأندلسية قد عجزت عن التصدي للجموع الزناتية، غير أن مجريات الحرب سرعان ما انقلبت لصالح الأمير الأندلسي بفعل الخيانة التي حصلت في المعسكر الزناتي واستهدفت الأمير المغراوي بالقتل من طرف أحد أتباعه الموتورين الذي حاول اغتياله بثلاث طعنات في نحره[13].

ولقد أشيع في المعسكرين خبر مقتل زيري بن عطية الذي نزل كالصاعقة على أصحابه فأصابتهم الدهشة والاضطراب، في حين اهتبل الأمير الأندلسي عبد الملك المظفر فرصة الاضطراب هاته وشد على المعسكر الزناتي، فهزم جموعه واستولى على أموالهم وأسلحتهم وكل ما كان معهم مما لا يحصى بعدد[14]. وفر زيري بن عطية في قلة من اتباعه ولحق بمدينة فاس جريحا حيث امتنع أهلها عليه وأخرجوا إليه أهله واحتملهن ولجأ إلى الصحراء[15].

ويبدو أن أهل فاس رفضوا استقبال أميرهم المهزوم حتى يتجنبوا انتقام الأمير الأندلسي الذي دخل مدينتهم في نهاية شوال 388 هـ وآل إليه أمر المغرب الأقصى فأصلح نواحيه وسد ثغوره وعين العمال على نواحيه باسم أبيه المنصور الذي لم يسبق له أن سُرَّ بفتح كهذا الذي حققه ابنه ضد الأمير المغراوي.

بعد انهزام زيري بن عطية أمام القائد الأندلسي عبد الملك المظفر وفراره إلى الصحراء، شرع في لَمِّ شمله من جديد وجمع قواته من القبائل الزناتية وعلى رأسها مغراوة. ولكن زيري بن عطية وبدل أن يتوجه بهذه القوات لاسترجاع المغرب الأقصى من قبضة الجيش الأندلسي ومحو آثار الهزيمة التي ألحقها به، اتجه صوب المغرب الأوسط لافتكاكه من بني زيري الصنهاجيين. وهنا تتفق أربعة مصادر على الدافع الذي حمل الأمير المغراوي على تغيير وجهته، وهو ما بلغه من اضطراب صنهاجة واختلافهم على باديس بن المنصور عند مهلك أبيه، وأنه خرج عليه عمومته مع ماكسن بن زيري فصرف وجهه حينئذ إلى أعمال صنهاجة ينتهز فيها الفرصة[16].

وكان باديس قد تولى عرش المنصورية بعد وفاة أبيه المنصور سنة 386 هـ وعمره لا يتجاوز اثنتي عشرة سنة وهي التولية التي عرفت معارضة من طرف عمومة أبيه. وإذا كان زيري بن عطية لم ينتهز الفرصة منذ سنة ارتقاء باديس العرش، فلأنه كان منشغلا بخلافه وصراعه مع المنصور العامري. وقد يكون الخلاف الزيري مجرد عامل مشجع للأمير المغراوي، على الزحف على المغرب الأوسط، في حين تبقى الرغبة في العودة إلى الموطن الأصلي وإحياء الإمارة المغراوية بهذا الإقليم المحرك الأساسي لهذا الزحف.

شرع زيري بن عطية في أوائل سنة 389 هـ في محاصرة تيهرت التي عجز عاملها يطوفت بن بلكين بن زيري عن مقاومة الجموع الزناتية، فكتب إلى ابن أخيه باديس صاحب إفريقية يستنجده، وما إن وصل الكتاب إلى باديس حتى أمر كاتبه محمد ابن أبي العرب بالخروج على رأس الجيش إلى تيهرت. وخرج ابن أبي العرب من المنصورية في منتصف صفر سنة 389 هـ، ومر في طريقه بأشير وعاملها يومئذ حماد ابن بلكين بن زيري ومعه عسكر عظيم، وبعد استراحة يسيرة رحل ابن أبي العرب ومعه حماد بن بلكين بعسكره حتى وصلا إلى تيهرت وبها يطوفت بعسكره أيضا، وكان وصولهما في أول جمادى الأولى، وفي الرابع من نفس

الشهر زحف الجيش الصنهاجي على زناتة التي كانت ترابط بالقرب من تيهرت بقيادة الأمير المغراوي زيري بن عطية، حيث دارت الحرب بين الطرفين في موضع يقال له آمسار على بعد مرحلتين من تيهرت[17].

ولما حمي وطيس الحرب واشتد بأسها، سرعان ما ظهر عجز الجيوش الصنهاجية عن المقاومة، وولت منهزمة أمام الزناتيين، تاركة كل محلاتها ومضاربها وما فيها من أموال وسلاح، التي استولى عليها زيري بن عطية وقتل منهم خلقا كثيرا وأسر آخرين ولكنه وعدهم بجميل وأطلق سراحهم عند دخوله تيهرت، فلحقوا بالمنهزمين إلى مدينة أشير. ورغم محاولة ابن أبي العرب رد الجيش المنهزم، لكن دون جدوى، وتمت هزيمة صنهاجة على يد زناتة في نفس اليوم الذي دارت فيه الحرب وهو اليوم الرابع من جمادى الأولى، ولم تستطع بذلك صنهاجة الصمود أكثر من يوم واحد.

وقد أوعزت المصادر هذه الهزيمة إلى التخاذل الذي وقع في صفوف الجيش الصنهاجي المؤلف من ثلاثة أصناف من العسكر، عسكر ابن أبي العرب، وعسكر حماد بن بلكين صاحب أشير، وعسكر أخيه يطوفت صاحب تيهرت. وكان عسكر حماد يتألف في معظمه من قبيلة التلكاتة[18]، أبرز القبائل الصنهاجية، وكان اتباعه يكرهونه، إما لقلة عطائه حسب ابن الأثير[19]، أو لأنه أساء عشرتهم وسلط عليهم أحد غلمانه وهو خلف الحميري الذي سامهم الخسف[20]، فلم يثبتوا في الحرب ضد زناتـــة وكانوا أول المنهزمين وهو ما أثر على بقية الجيش الذي حاول ابن أبي العرب رده ولكنه فشل، في حين كانت زناتة تقاتل موحدة تحت إمرة زيري بن عطية.

واجتمع القواد الصنهاجيون الثلاثة مع فلولهم المنهزمة بأشير، وأمر زيري بن عطية أتباعه بعدم ملاحقة الفارين وفضل البقاء في تيهرت، في حين وصلت أنباء الهزيمة إلى المنصورية في عشرين جمادى الأولى. ويتفق كل من صاحب المفاخر وابن خلدون على أن زيري بن عطية وإثر الانتصار الذي حققه على صنهاجة في تيهرت بعث إلى المنصور العامري يستقيله الزلة ويسأله العودة إلى الولاية ويذكر أنه أقام الخطبة باسمه واسم ابنه عبد الملك فيما صار إليه من بلاد صنهاجة بعد دعائه للخليفة هشام المؤيد[21]. وقد عز على الأمير المغراوي أن يضيع منه المغرب الأقصى؛ فأراد استرضاء المنصور العامري، وذلك بما حققه في المغرب الأوسط على

حساب صنهاجة ليحكمهما معا باسم خلافة قرطبة التي كانت تضفي دوما الشرعية على حكمه في بلاد المغرب.

لم يمكث زيري بن عطية إلا قليلا في تيهرت بعد انتصاره على صنهاجة، ثم توجه إلى أشير قاعدة المغرب الأوسط الثانية لحصارها، فخرج باديس بن المنصور صاحب إفريقية من المنصورية في الثاني من جمادى الآخرة 389 هـ لإيقاف الزحف الزناتي، ومر على طبنة وبها يومئذ عاملها فلفل بن سعيد بن خزرون المغراوي الزناتي الذي آلت إليه منذ سنة 382 هـ بعد وفاة أبيه، بأمر من المنصور بن بلكين. ولما أرسل باديس في طلبه خاف منه وبعث يعتذر إليه ويطلب منه سجلا جديدا على طبنة[22]، ولم توضح الرواية التاريخية مصدر هذا الخوف. ومع ذلك فقد استجاب باديس لمطالب فلفل بن سعيد ورحل باتجاه أشير، وما إن ابتعد عنه حتى تحول إلى ثائر ينشر الفساد والخراب في تلك الجهات وحاصر باغاية وسيطر على ما ولاها، ولم يعبأ باديس بن المنصور بما أقدم عليه فلفل، وواصل سيره لحرب زيري بن عطية الذي كان يحاصر أشير[23].

وهنا يتبادر إلى الباحث سؤال ملح حول هذا التزامن في إشعال الحرب ضد الدولة الزيرية من طرف الأميرين المغراويين الزناتيين، زيري بن عطية يحاصر أشير، وفي الوقت ذاته ينقل فلفل الصراع الزناتي الصنهاجي إلى قلب إفريقية، ويتحول من عامل للدولة إلى ثائر محارب لها. ما نفهمه من سياق الأحداث الواردة في المصادر التاريخية أنه لم يكن ثمة تنسيق أو اتفاق بين الزعيمين المغراويين في حربهما ضد باديس، وإلا كيف نفسر رحيل زيري بن عطية عن أشير بمجرد أن علم بوصول باديس إلى المسيلة، ومنها إلى تيهرت التي غادرها باتجاه فاس حين عرف أن الأمير الصنهاجي يلاحقه، وترك فلفلا وحده يقاتل في إفريقية.

ولم تسجل لنا المصادر أن فلفلا قد لجأ إلى الجهات الغربية طالبا الدعم رغم انهزامه أمام جيوش باديس، وبقيت ثورته مقتصرة على الجهات الشرقية، والملاحظة نفسها يمكن سحبها على زيري بن عطية الذي لم يفكر في نقل الصراع إلى إفريقية إلى جانب فلفل، واكتفى بالمغرب الأوسط فقط، وكان يفضل الهروب والانسحاب غربا كلما داهمته قوات باديس. وعليه فإن الأمر لا يعدو أن يكون استغلالا لظروف الانشقاقات التي كان يعرفها البيت الزيري بين باديس وأعمامه.

وعندما انسحب زيري بن عطية إلى ناحية فاس قفل باديس بن المنصور راجعا إلى إفريقية لمواجهة فلفل بن سعيد بعد أن عين على تيهرت وأشير عمه يطوفت بن بلكين الذي استخلف بدوره ابنه أيوب في أربعة آلاف فارس على تيهرت[24]. ووصل باديس إلى المسيلة في أول شوال 389هـ، حيث عيّد بها عيد الفطر، وأثناء هذه المناسبة بلغته أنباء خروج عمومته عليه وشقهم عصا الطاعة في أشير، ومحاولتهم قتل عاملها يطوفت وهم ماكسن وزاوي وجلال ومغنين وعزم أبناء زيري بن مناد[25].

ولم يحاول باديس العودة إلى أشير لإخماد ثورة أعمامه، لأن خطر فلفل تفاقم بشكل كبير وأخذ يزحف إلى القيروان، فكان على باديس ان يتدارك الوضع ويعجل بلقاء الثائر الزناتي وهو ما حصل من خلال الحرب الشديدة التي دارت بينهما في وادي أغلاق في 10 ذي القعدة[26]. وعلى الرغم من كثرة الجموع الزناتية المشاركة إلى جانب فلفل بن سعيد والتي لا تحصى عددا، فإنها منيت بهزيمة منكرة أمام صنهاجة وقتل منها حوالي سبعة آلاف وفر زعيمها فلفل إلى جبل الحناش.

في الوقت الذي كان فيه باديس منشغلا بحرب فلفل بن سعيد في إفريقية، عاد زيري بن عطية إلى أشير وضرب عليها الحصار ثانية، مستغلا تمرد أعمام باديس عليه في هذه المدينة. وما إن حاصرها حتى استأمن إليه زاوي بن زيري ومن معه من أكابر أهل بيته المنازعين لابن أخيهم باديس وأعطاه ما سأل[27]، ولم تذكر المصادر أن هؤلاء المتمردين قد شاركوا إلى جانب زيري بن عطية في حصار أشير حين استأمنهم، ولكنها تؤكد تحالفهم بعد ذلك مع الأمير المغراوي الآخر فلفل بن سعيد الذين اجتمعوا إليه وتعاقدوا معه على حرب باديس، حيث حاصرت هذه القوات المشتركة تبسة وذلك في أول سنة 390 هـ[28].

ولما بلغ باديس خبر تحالف عمومته مع فلفل خرج إليهم، فافترقوا خوفا منه، ثم التحقوا بزيري بن عطية من جديد الذي كان يحاصر أشير، ولم يبق مع فلفل سوى ماكسن وابنه محسن ورجع باديس إلى المنصورية. وطالت مدة الحصار المضروب على أشير من طرف زيري بن عطية الذي كان يغادي ويراوح أهلها بالقتال ويستفزهم بنبش قبورهم حتى يجبرهم على الخروج من المدينة التي استعصت عليه[29]. وما أن استراح باديس من حرب فلفل بعض

الوقت حتى خرج في رجب سنة 390 هـ لقتال زيري بن عطية الذي فك الحصار عن المدينة ورحل متجها إلى الغرب عندما وصله خبر خروج باديس فرجع الأخير إلى المنصورية[30].

وفي سنة 391 هـ خرج باديس في طلب فلفل بن سعيد ثانية، الذي كان يحاصر قابس ولكن سرعان ما جاءه كتاب عاملها يوسف بن عامر يذكر فيه أن فلفلا رحل إلى طرابلس، فخرج إليه صاحبها فتوح بن علي وجماعته فتلقوه وأدخلوه المدينة فاستوطنها منذ ذلك الوقت[31]. ويبدو أن زيري بن عطية قد عاد مرة أخرى لحصار أشير، ولكن العلة اشتدت عليه وقويت بسبب الجراح التي أصيب بها سنة 388 هـ في حربه مع الأمير الأندلسي عبد الملك المظفر، فاضطر للعودة إلى بلاده عند بني عمه ليقضي نحبه في 12 رمضان 391 هـ[32].

وكان حماد بن بلكين قد قضى في المغرب الأوسط، قبل تسعة أيام من موت زيري بن عطية، على عمه ماكسن بن زيري وابنيه محسن وباديس في الثالث من رمضان من السنة المذكورة بعد حروب شديدة، وهكذا تخلص باديس من خطر الأمير الزناتي الشهير زيري بن عطية، وأعمامه المتمردين في وقت واحد، ولم يبق أمامه سوى فلفل بن سعيد الذي لجأ إلى طرابلس، فاقتصر بذلك الصراع الصنهاجي الزناتي على إفريقية. وهذا ما يؤكد مرة أخرى أنه لم يكن ثمة أي تنسيق أو تحالف بين زيري بن عطية وفلفل بن سعيد في حربهما ضد باديس وأن كل طرف كان يعمل لحسابه الخاص مستغلا ظروف الانشقاقات والانقسامات داخل البيت الزيري.

الهوامـــش

1- ابن أبي زرع علي، الأنيس المطرب بروض القرطاس. الرباط: دار المنصور، 1973 ص: .105

2- ابن خلدون عبدالرحمن، كتاب العبر. بيروت: دار الكتب العلمية، 1992، مج7، ص: 38

3- نفس المصدر والصفحة.

4- مجهول، مفاخر البربر، تحقيق عبدالقادر بوباية (رسالة ماجستير مخطوطة) ص: .156

5- نفس المصدر، ص: 158. العبر، مج7، ص: 39.

6- ابن أبي زرع، القرطاس، ص: .105

7- مجهول، مفاخر البربر، ص: 160. العبر، مج7، ص: .39

8- ابن أبي زرع، القرطاس، ص: 105. ابن الخطيب، الأعلام، ج3، ص: .158

9- نفس المصدر، ص: .106

10- وهو المكان الذي يتفق عليه كل من ابن أبي زرع، ص:105 وابن خلدون، مج7، ص:39.في حين يذكر صاحب المفاخر جبل غاي غاي، ص:172، ويذكر ابن عذارى جبل أبي حبيب، ج2، ص:282.

11–مجهول، مفاخر البربر، ص: .162

12–ابن خلدون، العبر، مج7، ص: .39

13–في الوقت الذي يتفق فيه كل من صاحب المفاخر، ص:164– وابن أبي زرع، ص:106. وابن الخطيب، ص:158. على أن منفذ العملية غلام أسود كان زيري بن عطية قد قتل أحد أقربائه، نجد ابن عذاري قد خالفهم في ذلك ونسب محاولة الاغتيال إلى ابن عمه الخير بن مقاتل، ج2، ص:282. في حين اكتفى ابن خلدون بالإشارة إلى أنه من اتباع زيري بن عطية، مج7، ص: .39

14–مجهول، مفاخر البربر، ص:163– ابن أبي زرع، القرطاس، ص: 106 – ابن الخطيب، الأعلام، ج3، ص:159، ابن خلدون، العبر، مج7، ص: 40.

15–نفس المصدر والصفحة– ابن خلدون نفس المصدر والصفحة. وإذا كان صاحب المفاخر وابن خلدون يتفقان هنا على أن زيري بن عطية فر إثر هزيمة شوّال 388 هـ، جريحا إلى فاس ومنها إلى الصحراء. فإن ابن أبي زرع وابن الخطيب يذهبان إلى أن زيري بن عطية بعد هزيمته التي جرح فيها أمام عبد الملك المظفر، فر إلى مضيق الحية قرب بلاد مكناسة، واجتمعت إليه فلوله وحاول معاودة الحرب ضد الأمير الأندلسي ولكن الأخير فاجأه وألحق به هزيمة نكراء أُجبِر إثرها عل الفرار إلى فاس ومنها إلى الصحراء. ولكن ابن أبي زرع يجعل ذلك في منتصف رمضان 387 هـ، ص: 106، وهو خطأ، ويخالفه ابن الخطيب في ذلك حين يذكر منتصف رمضان 388 هـ وهو الصحيح لتوافقه مع ابن خلدون وصاحب المفاخر.

16–مجهول، مفاخر البربر، ص: 166 – العبر، مج7، ص: 40 – القرطاس، ص: 107

17–ابن عذاري، البيان، ج1، ص: 250، وهو المكان الذي يسميه النويري آمسان، ص: 325. ويحدده صاحب المفاخر بوادي مينة على بعد عشرين ميلا من تيهرت، ص: 168، ويورده ابن خلدون باسم وادي مناس، مج7، ص: 40. ولعله تحريف من الناسخ لمينه.

18–ابن عذاري،البيان، ج1، ص: 250. النويري، نهاية الأرب، ص: .325

19–ابن الأثير، الكامل، ج7، ص: .199

20–النويري، نهاية الأرب، ص: 325. ابن عذاري، البيان، ج1، ص: .250

21–مجهول، مفاخر البربر، ص: 167 – العبر، مج7، ص: .40

22–ابن عذاري، البيان، ج1، ص: 250 – ابن الأثير، الكامل، ج7، ص: 199.

23–نفس المصدر والصفحة.

24–ابن عذاري، المصدر السابق،ج1، ص250– النويري، المصدرالسابق ص .326

25–ابن خلدون، العبر، مج 6، ص: 186 – النويري، نهاية الأرب، ص: .327

26–ابن الأثير، الكامل، ج7، ص:199 – ابن عذارى، البيان، ج1، ص: 151.

27–ابن خلدون، العبر، مج7، ص: 40 – المفاخر، ص: .168

28–ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص:199 – ابن عذاري، البيان، ج1، ص: 251 – النويري، نهاية الأرب، ص: 328.العبر، مج7، ص: 40. ونشير هنا إلى أن أعمام باديس المتمردين عليه هم: زاوي وماكسن وجلال وعزم ومغنين، وكان حماد الوحيد الذي وقف إلى جانب باديس ضدهم، في حين ظل أبو البهار مترددا متلونا في

مواقفه، إذ حاول الاتصال بالمنصور العامري يطلب الدخول في طاعته، فبعث إليه رسوله في آخر شوال سنة 389هـ لكن دون جدوى، فاضطر إلى مراجعة طاعة ابن أخيه باديس واعتذر إليه. المفاخر، ص: 169 – العبر، مج7، ص: 41.

29–مجهول، مفاخر البربر، ص: .169

30–ابن عذاري، البيان، ج1، ص: .251

31–ابن عذاري، المصدرالسابق، ص ص: 251–252.

32–مجهول،مفاخر البربر ص:169– البيان،ج1،ص:252– العبر،مج7،ص:41.

مخطوطات علماء كنته في خزائن الصحراء الكبرى.

أ/ أحمد الحمدي

يختلف مفهوم الصحراء عند المؤرخين المسلمين وغيرهم من الغربيين على حد سواء، ولكنهم يتفقون على التفريق بين العمران والخلاء، حيث يطلقون اسم الصحراء على الخلاء،[1] ويخصون بذلك صحراء أقصى جنوب بلاد شنقيط والتوارق إلى السودان الغربي.[2] أمّا الجغرافيون الغربيون فانهم يتحدثون عمّا يسمّونه بالصحراء الكبرى، ويحددونها بين جبال الأطلس الصحراوي شمالا والسودان جنوبا، ومن المحيط الأطلسي غربا إلى تخوم مصر شرقا.[3]

وسأعمل من خلال هذه المقالة على إبراز النتاج العلمي لقبيلة كنته الصحراوية، والتي كان لها الدور الكبير في إسلام الزنوج خلال عقود طويلة.[4] وينحدر أفراد هذه القبيلة من نسل عقبة بن نافع الفهري الفاتح الكبير.والقبيلة تنتشر الآن في مساحات شاسعة من توات، وتيديكلت،إلى شنقيط،بالاضافة إلى ساحل السودان الغربي،والسنغال.ولذلك سيقتصر الباحث على التطرق إلى مخطوطات علماء هذه القبيلة، بمنطقة تيديكلت،وهقار، وأزواد.وهي المناطق التي يوجد بها الكثير من الآثار العلمية.

علم المخطوطات: المخطوطات بمثابة الكنز، ولذلك ورد في تفسير قوله تعالى: "وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما"[5] أن المراد بالكنز ألواح علم كانت